الى من استمرت عليه من العادات ولها نفور عما كلفته من توجه الطلب عليها به من
الطاعات وترك المحرمات فبهذا الاعتبار قال هذا الشيخ ابن عطا النفس تجري
بطبعها في ميدان المخالفة اي بسوء عادتها والعبد يردها عن ذلك بالمجاهدة
وحملها على ما ينفعها في الدنيا والاخرة فان تركها مع عوايدها استرسلت في
العادات ولم يكفها عما نهيت عنه من ارتكاب المحرمات كان شريكا لها ومعينا
لتمكنه من ذلك بواضح الدلالات قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ
ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت
سمعت ابا عمر الانماطي يقول سمعت الجنيد يقول النفس الامارة بالسوء هي
الداعية الى المهالك المعينة للاعداء المتبعة للهوى المتهمة باصناف الاسوا
قال الشارح رضي الله عنه وهو صحيح فانها لم تامر بالسوء الا لما يهلكها
في اخرتها وكذلك ساير الاعداء الشيطان الرجيم والدنيا والمال والولد والازواج
الذين سموا في الكتاب اعداء فلا يتم لهم شي من العداوة ولا يتم لهم مقصود الا باعانة
النفس ومساعدتها وتزيينها لذلك وامرها فان الشيطان لعنه الله لو امر بما
تكرهه النفس ويضرها في اخرتها وعرفت ذلك وابته لم يضرها كيد الشيطان
ولا نزغه وكذلك الدنيا التي فوق الشرع غرورها مع غرور الشيطان فقال تعالى
فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فلو اعجب الانسان شي منها مما منعه
الشرع منه وكان الشخص متثبتا مانعا نفسه عن الميل اليه عند تناوله لم تضره
الدنيا بل ازداد خيرا بزهده فيها ونهيه نفسه عن اخذها وكذلك الازواج والاولاد
متى امر منهم امر بشي مما لا يرضي ولم يوافق العبد اهله وولده على ذلك لم يضره امرهما
ولا يبالي بجحد ادعاهما فان الله تعالى قال في كتابه الكريم ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم فسمي حد العبد موافقتهم فيما لا يرضي الله لم يضره فمن هذا الوجه كانت النفس
معينة للاعدا عاملة بمقتضى الهوى فلا يزال العبد ان كان موفقا متهما لها في سائر
ما تدعيه من طاعة المولى مفتشا لخفاياها حتى يسلم من بلائها قال الامام رضي الله عنه بلاها
وقال ابو حفص من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم
يجرها الى مكروهها في سائر اوقاته كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شي منها فقد
اهلكها وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه والكريم ابن الكريم يقول وما ابرئ نفسي ان
النفس لامارة بالسوء قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان النفس لا تخلو من ان
تميل الى محبوب او تنفر عن مكروه فمتى لم يتهمها العبد فيما مالت اليه من المحبوبات ويفتش
سبلها حتى يسلم من الافات ويكون لله خالصا خالق الارض والسموات ولذلك لا بد بجهاد النفوس

عا

عما امرت بفعله من الواجبات والمندوبات وتجرها اليه كرها بسياط الخوف وانواع التوبيخات
وصنوف التقريعات ولذلك بالرجا بما وعدت به على القيام بالاعمال الصالحات ومن اهمل مع
نفسه كذلك فهو مغرور بالة دلة الواضحات فانه ان تركها وما احبته لم يامن وقوعها في المحرمات وان
تركها نافرة عما كرهته لم يامن نفورها عن الواجبات وكفى بهذا غرورا واهلاكا بالادلة الواضحات
وكيف يتاتى لعاقل لبيب ان يسكن الى نفسه ويسلم لها ما ادعته من الخير انه مع قول الكريم
ابن الكريم المحفوظ طهره بالتحقيق يوسف بن يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم خليل المحفوظ
الرحمن الصديق وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي قال الامام رضي الله عنه
سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابن مقسم ببغداد يقول سمعت ابن عطا يقول قال الجنيد
رحمه الله ارقت ليلة فقمت الى وردي فلم اجد ما كنت اجده من الحلاوة فاردت ان انام فلم اقدر
عليه فقعدت فلم اطق القعود ففتحت الباب وخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح
على الطريق فلما احس بي رفع راسه من الارض وقال يا ابا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدي
من غير موعد فقال بلى سالت محرك القلوب ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك
فقال متى يصير داء النفس دواها فقلت له اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواها
فاقبل على نفسه فقال اسمعي فقد اجبتك بهذا الجواب سبع مرات فابيت الا ان تسمعيه من
الجنيد فقد سمعته وانصرف عني ولم اعرفه ولم اقف عليه قال الشارح رضي الله عنه
انظر رحمك الله ما في هذه الحكاية من الدلالة على فضل الرجلين وذلك ان نفس هذا الرجل
الكبير طالبته بشي خالفها او خطرت له مسالة اي حالة يتغير حال الانسان ويصير ما
كان سبب مرضه سبب عافيته فتفكر في نفسه ووضح عنده ان الانسان انما داؤه استرساله
مع هواه وعافيته ودواؤه توقفه عنده لاجل حتى يعلم احكام ربه فيه فيصح بصحة قلبه ويسلم
من اذاه فلما لم تقبل منه نفسه هذا العلم ولم توافقه على العمل به حتى تسمع كلام
العلماء بهذا الشان ولم يجد في زمانه من ترجع نفسه اليه وتثق به سوى سيد هذه
الطايفة ابي القاسم الجنيد وكان هذا الامر مع نفسه ليلا وكره ان يدق على الجنيد
بابه فيشوش عليه الحالة فالتف بكسائه وانطرح بالطريق عند بابه وعلق همه حاله
بمقلب القلوب ان يحرك قلبه ويحفظه بعد من سواده فلما استيقظ الجنيد من نومه
وقام الى ورده لم يجد من نفسه ما كان يجده من نشاطه لربه فتحير في سببه وطلب ان ينام
فلم يطق وهو على هذا الحال من البعد فطلب ان يجلس ليذكر الله في غير صلاة فلم يطق ففتح
الباب وخرج ينتظر الفرج فرفع راسه المطروح على الطريق فقال الى الان يا ابا القاسم
اي لم لم تحمل على اول الامر حين لم تطلب حالك في الصلاة ولا في الوقار ولا في القعود
هذا معنى قوله الى الساعة هذا يدل على مكاشفة هذا الرجل لحال الجنيد وما كان فيه

Copyright © King Saud University